



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي

مركز بحوث كلية التربية

١٩٩

نظريات رسوم الأطفال النشأة والتطور

إعداد

الدكتور/ محمد بن حسين بن عيد الله الضويحي

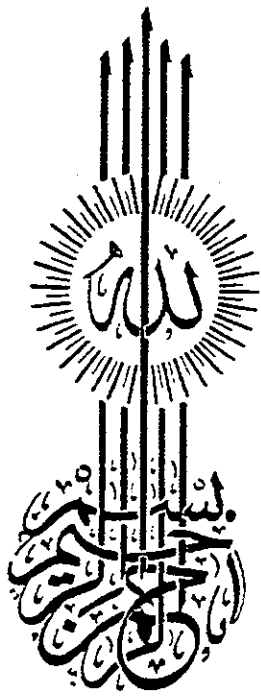
أستاذ التربية الفنية المساعد

قسم التربية الفنية

كلية التربية

جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى





المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي
مركز البحوث كلية التربية

نظريات رسوم الأطفال النشأة والتطور

إعداد

الدكتور/ محمد بن حسين بن عبد الله الضويحي

أستاذ التربية الفنية المساعد

قسم التربية الفنية

كلية التربية

جامعة الملك سعود

جميع البحوث الصادرة عن مركز بحوث كلية التربية محكمة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ح) جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع ١٤٢٤هـ - (٢٠٠٣م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الضويحي ، محمد بن حسين بن عبد الله
نظريات رسوم الأطفال النشأة والتطور / محمد بن حسين بن عبد الله
الضويحي - الرياض، ١٤٢٤هـ.
٥٥٩ ص؛ ٢٤×١٧ سم - (مركز بحوث كلية التربية ؛ ١٩٩)
ردمك : ٨ - ٥٥٢ - ٣٧ - ٩٩٦٠
ردمك : ٢٦٥٩ - ١٣١٩
١- الرسومات ٢- علم نفس الطفل أ- العنوان ب - السلسلة
١٤٢٤/١٤٥٧ ديوي ٧٤٣,٤٥

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١٤٥٧
ردمك : ٨ - ٥٥٢ - ٣٧ - ٩٩٦٠

النشر العلمي والمطابع ١٤٢٤هـ



" نظريات رسوم الأطفال: النشأة والتطور "

إعداد : الدكتور محمد بن حسين الضويحي

أستاذ التربية الفنية المساعد - قسم التربية الفنية

كلية التربية - جامعة الملك سعود

ملخص البحث

يتناول هذا البحث نظريات رسوم الأطفال؛ فيؤرخ لنشأتها ، والظروف التي أدت إلى ظهورها ، ويعرف أعلامها ومبتكريها ، وتطورها عبر السنين . وقد شملت هذه الدراسة النظرية الطبيعية ، والنظرية الجمالية والنظرية الإبداعية العلمية الاجتماعية ، والنظرية التحليلية ، ونظرية التطور العقلي ، والنظرية الإدراكية ، ونظرية الحساسية والانسجام ، ونظرية النمو الإبداعي والعقلي ، ونظرية الإدراك الكلي ، ونظرية الرمز والنموذج ، ونظرية الاتصال الاجتماعي والثقافي.

وقد رتبت في هذا البحث تاريخياً ؛ أي حسب تواليها في الظهور ، وعرض أفكار كل نظرية من هذه النظريات ، وطريقة نظرتها ، وتفسيرها لرسوم الأطفال ودورها أو أهميتها .

واختتم البحث بتلخيص له ، وأتبع ببعض المقترحات التي أمل أن تجد طريقها إلى التطبيق في المجال التربوي في المؤسسات التربوية المتخصصة ، وعلى مستوى الأسر الصغيرة.

مقدمة البحث

كان الناس ينظرون إلى الطفل وكأنه شخص راشد كبير، ولا يميزون بينه وبين الشخص الكبير في مجال التعليم. وفي أواسط القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت أول الإشارات إلى أهمية التعرف على حاجات الطفل، وخصائصه، وطرق التعامل معه في كل المجالات، وخاصة في مجال التربية واكتساب المعرفة.

ولم يقتصر الاهتمام باحتياجات الطفل في مجال التربية العامة، بل تعداها ليشمل الاهتمام بالتربية الفنية لدى الطفل.

وبدأ العلماء التربويون، وعلماء النفس في التعرف على الأطفال من خلال رسومهم وتتابعت الدراسات في هذا المجال وتتنوعت وكانت في الأساس تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:-

هل ينبغي تشجيع الأطفال على التعبير عن ذواتهم، بطريقة حرة، أم ينبغي على النظم التعليمية والمناهج الدراسية أن توجههم وتدريبهم على إنتاج أعمال فنية؟

هل يجب أن تكون فنون الأطفال مكتملة للتعليم المعرفي. وتوضع ضمن المناهج بوصفها عاملاً حافزاً، أم ينبغي أن توضع لتخدم أهدافاً خاصة مثل الحاجات الجمالية، والإبداعية والعاطفية؟

هل ينبغي أن يتجه الحكم النقدي الجمالي نحو معايير الراشدين، أم ينبغي أن تكون هناك معايير خاصة لفنون الأطفال؟

ولم تنشأ هذه التساؤلات فجأة؛ بل تكونت خلال فترة طويلة من الزمان. وجاءت نتيجة لأبحاث عدة، قام بها كثير من المهتمين بالأطفال وبنفونهم.

وهذه الدراسة محاولة من الباحث في أن يوضح نشأة الاهتمام بفنون الأطفال. فهو يؤرخ لنشأة النظريات المختلفة، ويوضح أعلامها الذين أوجدوها كما يحاول أن يربتها تاريخياً، ويختتم الباحث بحثه هذا ببعض التوصيات التي يأمل أن تحقق الفائدة المرجوة من تتبع تلك النظريات عبر السنين.

وتعتبر الفنون بالنسبة للطفل، لغة رئيسة... "وبعض الكتاب يعتبر أن الرسم بالنسبة للطفل لغة، ومعنى ذلك أن الطفل يستخدم الرسم لينقل معاني إلى المتفرج. ويرى بعض التربويين أن الطفل عندما يستخدم رسمه كلغة، فإنه لا يهتم فيه بالمقومات الجمالية..... فاللغة أصلاً وسيلة لنقل المعرفة والمعاني" [١، ص ١٦].

غير أن الرأي السابق، والوارد في هذا النص تعوزه الدقة، وقد عارضه كثير من الباحثين، وأوجدوا قيمةً فنيةً وجماليةً عاليةً في فنون الأطفال. ويستدلون على ذلك من أن فنانيين كبار أمثال بول كيلي Klee، وهنري ماتيس Henri Matisse تأثروا برسوم الأطفال. بل أن هناك أسلوباً كاملاً انتهجه بعض الفنانين في المجال التشكيلي، وأطلق عليه أسلوب الأطفال Infantile style. وما ذلك إلا لأن "الطفل فنان بطبيعته" تقول الدكتورة عبلة حنفي عثمان:

"يعد كل طفل فناناً صغيراً؛ وذلك لما يمتلكه في فرديته الخاصة من القدرة على التعبير عما جوله من مظاهر مختلفة". [٢، ص ١٥].

وعلى كل فقد ظل كل فريق يجمع الأدلة والبراهين، وما زال هناك فريق يؤمن بأن رسوم الأطفال هي فنون كاملة لها كل خواص الفن الحديث، وفريق آخر يرى أنها ليست كذلك.

وبما أن هدف هذا البحث هو تتبع النظريات فإن الباحث يرى الاكتفاء بذكر ما سبق. ومعروف إن لغة الطفل الأولى هي لغة التشكيل أو

الفن. ومن خلالها يتواصل الناس مع الأطفال ، فيتعرفون على مشكلاتهم النفسية ، والاجتماعية ، وغيرها . بل إن فنون الأطفال تساعد على اكتشاف مقدراتهم الاستيعابية وتفكيرهم ، وتحدد الفئات التي ينتمون إليها، والمستوى الإدراكي ، والمعرفي ومعدل النمو لدى الأطفال.

وقد توصل الباحثون إلى كل ذلك من خلال الأبحاث المستمرة. وقد أدت تلك الأبحاث إلى ظهور نظريات خاصة بفنون الأطفال. وقد تعددت هذه النظريات ، وتنوعت حتى شملت كل الجوانب .

هدف البحث:

لقد أجرى الباحثون، وعلماء النفس كثيراً من الدراسات في فنون الأطفال. وقد قسمت تلك الدراسات الطفولة إلى مراحل، وخصصت لها سمات معينة لكل مرحلة، كما تناولت قضايا الذكاء والإبداع والابتكار ونحوها. غير أن تلك الدراسات ظلت متفرقة، ولم تجمع في دراسة متكاملة. وهدف هذا البحث هو تتبع تلك النظريات منذ نشأتها ، ومحاولة جمعها في منظومة واحدة ، والوصول بذلك إلى ما يفيد المعلمين والآباء والأمهات في تعاملهم مع الأطفال ، ومع إنتاجهم الفني في مظاهره المختلفة . ومن أهداف هذه الدراسة التعرف على المصادر الرئيسية لبعض النظريات وتوضيح مجهودات المؤلفين القدامى ، الذين أخذ عنهم المحديثون أفكارهم ، أو اقتبسوا منها الشيء الكثير. واكتفى بعضهم بالإشارة إلى المؤلف الذي وضع المصدر، وبعضهم لم يكلف نفسه حتى عناء الإشارة ، فأصبحت الآراء كأنها من اكتشافاته. وتتلخص أهداف الدراسة فيما يلي :

1. جمع كل نظريات رسوم الأطفال في كتاب واحد بدلاً من وجودها متفرقة ، أو واردة ضمن دراسات أخرى.

٢. عرض نظريات رسوم الأطفال عرضاً تاريخياً ابتداءً بأقدمها ظهوراً وذلك لتوضيح تطورها.
٣. لفت نظر التربويين الى ضرورة الاهتمام بنظريات رسوم الأطفال ومراعاتها عند التخطيط للبرامج التربوية.
٤. شرح نظريات رسوم الأطفال ، وتقديمها موجزة في بحث واحد حتى يسهل تطبيقها.

مشكلة الدراسة :

تتصدر مشكلت الدراسة في التساؤلات التالية:

١. متى بدأت نظريات رسوم الأطفال في الظهور؟
٢. ما الظروف التي أدت إلى نشأتها؟
٣. من هم أعلام نظريات رسوم الأطفال؟
٤. ما أهم النظريات التي تختص برسوم الأطفال ؟ وما الأفكار التي تشتمل عليها؟
٥. ما الترتيب الزمني الذي انتظم نظريات رسوم الأطفال؟

منهج الدراسة:

اختار الباحث المنهج الوصفي التاريخي لتناول هذه الدراسة . وذلك لأن النظريات قد ظهرت في حقب مختلفة وتلاحقت في عقود متعاقبة ، وأدى ذلك إلى ضرورة اختيار هذا المنهج الوصفي التاريخي لمعالجة موضوع نظريات رسوم الأطفال ونشأتها وتطورها.

أهمية الدراسة:—

رغم تعدد الأبحاث التي تناولت رسوم الأطفال، فإنها لم تجد من يجمعها في مكان واحد ، ويتتبع تطورها. ولا توجد أي دراسة بالعربية حسب علم الباحث تتناول النظريات فقط وتوضح كيفية تطورها والعلاقة بينها . ولا ينسى الباحث أن يذكر . أن الإشارات إلى تلك النظريات وتقديمها قد قام بها كل من محمود البسيوني ولطفي زكي وحمدى خميس وعبدلحفي .

تحديدات الدراسة:—

لا تشمل هذه الدراسة دراسة فنون الأطفال في مجالات الفنون كلها ، فهي كثيرة يصعب حصرها . وقد توافر الدارسون على دراسة فنون الأطفال في مجالات عديدة. فمن الفنون التي درسها العلماء النحت عند الأطفال ؛ فالأطفال... " حينما يجدون عجيب الطين الطيبة تحت أيديهم، يشكلون منها نماذج وأشكالاً لها سمات من ناحية المظهر البنائي، كما أنها تعكس معاني تستثير كل الرائيين نحوها وتعطي لهم متعة، لأنها تتضمن ملاحظاتهم واستجاباتهم للحياة المحيطة بهم ، وهذه الاستجابات تتبين في مجموعها شخصية الطفل واهتماماته، كذلك توضح كثيراً من معلوماته التي يستقيها بالمشاهدة وملاحظة الكائنات الحية التي تدور حوله . " [٣، ص ١٢].

والنحت حسب قول الينور لاندر هور وتز Elinor Lander و Horwits لغة تعبير، ونلاحظ " إن للنحات لغة خاصة. إنه يبدأ بفكرة معينة وباستخدام الطين الصلصال أو المعدن أو الخشب أو الحجر أو أي عدد من

الخامات الجديدة يُكون شيئاً ذا ثلاثة أبعاد، يمكن لك أن تتذوقه وتتمتع به * [٤، ص ٥].

ومن التربويين العرب افرد الدكتور محمود البسيوني كتاباً خاصاً لنحت الأطفال ، وقارنه بالنحت الشعبي والنحت القديم ، وأوضح طرق تقديمه بالمدارس *٢. ورغم كل ذلك فان هذا البحث لا يتناول النحت ضمن فنون الأطفال ومن تحديدات البحث أيضاً إبعاده لبعض الفنون الأخرى مثل الدراما وغيرها من الفنون الأدائية Performing arts والفنون السمعية.

ولا يعود استبعاد هذه الفنون لقلة المصادر أو المراجع فهي متوافرة . وقد اهتم كثير من الباحثين بالقيم التربوية لهذه الفنون من دراما ونحوها. وسبب استبعادها لا يعني عدم أهميتها أو التقليل من شأنها ولكن لكونها فروعاً رئيسية من فروع فنون الأطفال و تحتاج إلى دراسات وبحوث مستقلة ومنفردة عن رسوم الأطفال التي هي الأخرى فرعاً رئيسياً من تلك الفروع. يقول الدكتور نبيل عبدا لهادي (وآخرون): "يعد كل من الفن الموسيقي والدراما ذا أهمية في تنمية الإبداع لدى الطفل، ولذلك نجد كثيراً من الدول المتقدمة تدخل هذه المجالات في المناهج الدراسية لأن ذلك يعطي الطفل سعة الخيال ويجعله قادراً على استيعاب ما يحيط به بشكل جيد، [٥ ، ص ١١].

وتقول الدكتورة حنان عبد الحميد العناني * إن " الدراما والمسرح وجهان لعملة واحدة، ووحدتهما هي التي تؤدي إلى وجود فن مسرحي ينبض بالحياة. فالدراما تتولد من الفكر والعاطفة والخيال، وهذه جميعها تحتاج إلى المسرح الحي الذي يتألق بمختلف التعابير الجميلة من حركة... وتمثيل. والدراما مهمة للأطفال لأنها عبارة عن نشاط، لعب... واللعب بالنسبة للطفل

* هذا النص قام بترجمته كاتب هذا البحث.

* النص قبل السابق مأخوذ من كتاب محمود البسيوني المذكور. راجع المرجع [٢]

* حاصلة على دكتوراه الفلسفة في دراسات الطفولة، (الدراسات النفسية والاجتماعية). كلية الأميرة عالية الجامعية - جامعة البلقاء - الأردن.

هو حياته، وعن طريقه يتعلم ويقبل على العالم بفرحة ونشاط. “ [٦، ص ١٤٥].

وإضافة إلى ذلك استبعد هذا البحث من فنون الأطفال أعمال الخزف والنسيج وليس ذلك لتقليل من أهميتها هي الأخرى ولكن لنفس الأسباب الآتية الذكر والتي استبعد فيها الباحث فنون الدراما والنحت والموسيقى وغيرها ، وغيرها.

وتركز هذه الدراسة على دراسة رسوم الأطفال في مجالي الرسم والتصوير التشكيلي. ولا تتناول بقية الأنشطة الفنية إلا عرضاً لما تقدم من أسباب.

الدراسات السابقة:

أولاً – الدراسات العربية.

من أول الدراسات المتصلة بهذا الموضوع دراسة الدكتور لطفي محمد زكي "نظريات في السلوك الفني وتطبيقاتها التربوية" ويعرض في دراسته هذه (التي أخرجها في شكل كتاب) ما توصل إليه العلماء في مجال دراسة الطفل من جميع النواحي يقول الدكتور لطفي:

” تشير الدراسات الحديثة في علم النفس وعلم الأجناس على أن علينا أن نأخذ في اعتبارنا – كمعلمين للفن – كثيراً من العوامل لكي نتمكن من فهم الحالة المعقدة للنشء حينما يستجيبون للبيئة المحيطة بهم وحينما يعبرون بالرسم عن هذه الاستجابات..... وحاول أساتذة التربية الفنية وعلماء النفس طويلاً أن يشرحوا فنون الأطفال. وقبل المعلمون في أزمنة مختلفة نظريات معينة كقضايا مسلم بها ، وكيفوا أساليبهم في التدريس طبقاً لهذه النظريات “ [٧، ص ٥].

وتعرض في كتابه هذا لنظرية الدكتور جون كنج ماكفي^{1*} June
king Mcfee وهي التي أسمتها:—

Psychological implications of individual
Differences in the perception.

وقد اختار لها الدكتور زكي الترجمة التالية: " تصوير مجال الإدراك
" وهذه النظرية تتبع ، وتوضح الطريقة التي تتم بها عملية الإدراك لدى
الأطفال ، كما تدرس طبيعة الإدراك لديهم ، وتدرس الطرق التي يسلكونها
لينظموا ما أدركوه من أشياء . وتوضح، إلى جانب ذلك، الطرق المختلفة
التي يتم بها التواصل بينهم وبين الآخرين لنقل أفكارهم.

وانتقل الدكتور لطفي بعد ذلك لمناقشة نظرية الواقعية السااذجة
Naive Realism وأوضح أنها منتشرة في العالم وخاصة في مصر
وانتقدها قائلاً: " لقد عانينا كثيراً من هذه النظرية في بلدنا (مصر)^{2*} فاقدم
اعتنقها كثير من المدرسين ، وكانت النتيجة أن كثيراً من ميول الدارسين
وحبهم للفن قضي عليها بالفناء " [٧ص ٣٣].

وفي تطبيق هذه النظرية يضع المعلم طبيعة صامتة Still life أو
تمثالاً من الجص لينقله التلاميذ. والنتيجة عمل موحد ينقل نقلاً مباشراً بلا
تصرف من أي نوع.

وبعد هذه النظرية عرض " النظرية العقلية وهي الترجمة التي اختارها
نظرية فلورانس جود ايناف Florence Goodenough والتي تدعى:

^{3*} 'The Intellectual Factor in Children's Drawing'

^{1*} يذكر في كتابه إنها رسالة دكتوراه لم تنشر غير إنها قد نشرت بعد ذلك باسم الإعداد للفن preparation
for Art وسوف يستعرضها الباحث ضمن " الدراسات السابقة" مع القسم الثاني (الدراسات الأجنبية).

^{2*} مابين القوسين من إضافة الباحث ، بعرض التوضيح.

^{3*} هذه الدراسة هي في الأصل رسالة الدكتوراه للباحث فلورانس Florence وقد حصلت بها على هذه
الدرجة من جامعة ستانفورد stanford عام ١٩٢٤م.

ومفهوم الطفل يعتبر - حسب هذه النظرية هو العامل الأساسي في تحديد الكيفية التي يرسم ، أو تصور بها الطفل ، فالأطفال يرسمون ما يعرفونه عن الأشياء كما ترى الباحثة.

وتناول بعدها النظرية الإدراكية التي أسسها رودولف آرنهايم Rudolph Armheim والتي تقول : " إن الطفل يرسم ما يراه ، وإن عملية الإدراك تبدأ عند جميع الأطفال بالكل ، ثم تتجه بعد ذلك نحو التفاصيل . " [٨ ، ص ١٢٦] .

وواضح تأثير مدرسة الجشطالت النفسية Gestalt Psychology على هذه النظرية.

وعرض بعدها نظرية الحسي والبصري Haptical and Visual Theory وقد أوجدها فيكتور لوفيلد Viktor Lowenfeld في كتابه النمو الإبداعي والعقلي "Creative and mental Growth" وتركز نظرية فيكتور هذه على اتجاهات الأطفال الحسية والبصرية حسب تلاؤم الطفل مع بيئته المحيطة به والخبرة (في نظره) لا تعادل هذا التلاؤم ولا تغيره.

والحسي والبصري نوعان مختلفان لا يجمع بينهما جامع في مجال التعبير من خلال العمل الفني: فاهتمام البصري يكون منصباً على الجوانب الظاهرية للأشياء، وتحليل تفاصيلها ولا يهتم كثيراً بالجوانب الانفعالية. فهو يشبه ذلك الذي. "ترك في الظلام معتمداً اعتماداً كلياً على خبراته البصرية عن العالم الخارجي،، [٩، ص ٥٨]

أما الحسي فهو يهتم بأحاسيسه ومشاعره ، وما حوله من فراغ ويجعل الأشياء صغيرة أو كبيرة حسب قيمتها الانفعالية، وليس حسب قواعد المنظور التي تجعل الأشياء القريبة بالنسبة له أكبر من الأشياء البعيدة. وقد وصفه لوفيلد بقوله: إن له..... بصراً عادياً وطبيعياً ، ويستخدم عينه فقط

عندما يكون مجبراً على ذلك، أو مضطراً اضطراراً. فهو يتصرف كما يتصرف الشخص الفاقد للبصر والذي يعتمد - اعتماداً كاملاً - على حاسة اللمس، وعلى شعوره الجسدي. “ [٩ص٥٨].

ويشرح الدكتور لطفي بعد ذلك نظرية المجال المستقل، والمجال غير المستقل Field Independent and Field - Dependent وقد أوجدها العالم النفسي هيرمان ويتكن Herman Witkin الذي عرف المجال المستقل بأنه:

” اتجاه الفرد إلى تحليل الخبرة المحيطة به... فقد تتوقع أن يرسم تلميذاً ما بيتاً ثم يقوم بدراسة أسباب تنظيم أضلاع هذا البيت، وسطوحه، وهيئاته، وأشكاله الحالية. أو تتوقع من تلميذ آخر أن يكشف جزءاً من طبيعة صامته، باحثاً أسباب الأشكال كما تظهر. (أما المجال غير المستقل)* فيلجأ إلى فحص واختبار البيئة المحيطة به بشكل غير ثابت، أو بشكل مهزوز غير مستقر، فهو قد لا يحلل أبداً، وحتى لو حلل فإن تحليله يكون ضعيفاً، وغير ذي تأثير.“ [١٠، ص١٢٢].

ومن الصعب جداً على أصحاب المجال غير المستقل أن يفصلوا بين الشيء ومحتوياته. وهم غالباً ما يفتقرون إلى المرونة التي تكون عادة متوفرة لدى أصحاب المجال المستقل.

والنظرية الأخيرة التي عرضها الدكتور لطفي هي نظرية " العمر العقلي والنمو في الفن " وهي الترجمة التي اختارها لاسم النظرية الإنجليزي. Easel Age Scale

وتقول هذه النظرية التي أوجدها بيتريس لانتر Peatrice Lants إن قدرة الطفل على رؤية التفاصيل "تنمو وتزداد مع تقدم الطفل في السن؛

* ما بين القوسين من إضافة كاتب هذا البحث، لغرض الربط.

فهو يتجه من الرؤية التي لا تميز الكليات إلى تناول تفاصيل أكثر، ويتغير هذا الاتجاه بالذكاء، فالطفل الأكثر ذكاءً تكون تفاصيله أكثر من غيره. وتسهم الثقافة في تدريب الإدراك وفي السلوك الفني أيضاً. [١١]، ص ٥٥].

وبعد أن عرض هذه النظريات تناول طرق تطبيق نظرية تصوير مجال الإدراك في المدارس. وتناولها تحت أربعة عناوين وهي:—

١. نشاط الحصاة: ويشمل العناوين التالية:

أ- نمو القدرات في أثناء نشاط الحصاة.

ب- التعبير الفردي.

ج- العمل الجماعي.

د- عملية الابتكار.

هـ- نمو المهارات.

و- تقديم الخامات وتقويمها.

ز- نمو الذوق.

ح- تناول التركيب والبناء.

ط- التعليم المعرفي والبصري.

٢. النشاط الذاتي، وقد تعرض له من خلال العنوان التالي:
الاهتمام بالنشاط الذاتي

٣. النشاط المتكامل، وعرضة تحت عناوين ثلاثة وهي:

أ- الفن والعلوم.

ب- الفن والدراسات الاجتماعية.

ج- بداية تربية الذوق.

٤. التقييم كأداة لتخطيط النشاط الفني وعرضه تحت عنوانين ، فقط

وهما:

أ- اختيار العلم للعرض

ب- تقييم الشخصية.

أما الدراسة الثانية فهي دراسة الدكتور نعيم عطية. وقد أسماها "ذكاء الأطفال من خلال الرسوم " وهي دراسة تجريبية نشرها في كتاب مكون من ٢٩٥ صفحة. ذكر في مقدمته:.. إن.. " الدافع الأقوى والمباشر للإقدام على مثل هذا العلم (يعني الدراسة)^{١*} هو الشعور بالحاجة الملحة في البلاد العربية، ولاسيما على مستوى الدراسات الجامعية والعليا التي تناولت مراحل الطفولة، إلى وسيلة سهلة لقياس الذكاء.... بما يخدم حاجتنا إلى أداة للقياس العقلي، (تكون)^{٢*} سهلة التداول يلجأ إليها المعلم المدرب، والباحث الناشئ الذي يحتاج إلى ضبط الذكاء في رسالته أو بحثه، دون أن تواجهه مصاعب الاختصاص ". [١٢، ص٨].

وقد بنى دراسته على الاختبار الذي أعدته فلورانس قود ايناف لقياس ذكاء الأطفال باستخدام الرسم عام ١٩٢٥م. وقد قام العالم النفسي ديل هاريس Dale Harris بمراجعة الاختبار وإصلاح بعض جوانبه عام ١٩٦٥م، وأضاف له بعض البنود المهمة حتى أصبح مكتملاً.

وقد استخدم الدكتور نعيم مقياس جود ايناف وهاريس ، وتوصل إلى أن درجات النمو العقلي التي يوفرها هذا الاختبار تمثل مقدرة عامة لدى الطفل ، قوامها على سبيل المثال التسليم الافتراضي بالعوامل التالية:

^{١*} ما بين القوسين من اضافة الباحث

^{٢*} من اضافة الباحث، بهدف استقامة المعنى العام ت بعد حذف بعض العبارات من النص الأصلي.

١. تصور المفاهيم. وفيه المقدرة على التنظيم من خلال التحليل والتأليف.

٢. الإدراك المكاني والفضائي.

٣. الإدراك الكمي.

٤. عامل تعبيرى من خلال التصوير، ويدخل فيه الاتساق الحركي والقصد إلى التعبير.

٥. عامل إبداعى خاص.

وتوصل على أن الاختبار بصورته الجديدة يمكن أن يتحول إلى أداة مفيدة على مستوى الإرشاد التربوي، والبحث العلمي المقارن. واختتم بحثه بالتوصيات التالية:

١. تطبيق الاختبار في أكثر ما يمكن من البلاد العربية... مع تخطي السمات المحلية، على أمل استخراج جداول تقنين محلية. بالإضافة إلى تقنين عربي عام موحد.

٢. استكمال الأبحاث على مستويات العمر العليا بعد العاشرة ، لاستخراج تقنين يصلح للمراهقين في الصفوف الثانوية ، وعلى فئات أخرى من أفراد الناشئة؛ ولأسيما المعاقين والمتخلفين.

٣. مقارنة الإناث والذكور، والنظر في ضرورة استخراج جداول لكل منهما.

٤. دراسة الصدق العملي للاختبار في مجالات غير مجالات المقدرة المدرسية العامة ، بالإضافة إلى مواصفاته الأخرى، عساه يجمع على أحسن ما يمكن بين الاقتصاد في الجهد، وفي المعلومات من جهة، والصدق والأمانة من جهة أخرى.

٥. تتبع العوامل الأولية التي تكمن وراء بنود هذا الاختبار ، والإفادة منها في تحسين الاختبار ، وفي فهم مدلولاته العقلية ، وتفسير نتائجه تربوياً.

والدراسة الثالثة التي اختارها الباحث هي "تطور رسوم الطفل التعبيرية من الطفولة إلى المراهقة : نظرة تحليلية" اشترك في كتابة هذه الدراسة كل من الدكتورين: عبد الله عيسى الحداد ، وعبد الله مهنا المهنا. وقد طبعاً دراستهما في كتاب به ثلاثمائة وثمانون صفحة. والكتاب يحتوى على بعض الصور لأعمال التلاميذ كما يشمل بعض الرسوم البيانية، والجداول الإحصائية.

ويبحث الكتاب في موضوع مفهوم فن الطفل ويتعرض بعض الدراسات والنظريات. ثم ينتقل بعد ذلك ليناقدش العمر والتعبير لدى الأطفال. وفي هذا الصدد يقول الكاتبان:

"حالة التعبير والإبداع، عند الأطفال، ترتبط ارتباطاً مباشراً بمستوى العمر الزمني لديهم، حيث إن أعمارهم تحدد مدى مستوى إدراكهم، ومدى مستوى قدرتهم على التعبير، والحركة والمبادرة ، فالأطفال منذ ولادتهم وحتى سن الثانية من عمرهم ، يكون لديهم رغبة مبهمة للتعبير عن ذاتهم ، وهذه الرغبة تتبلور وتتضح اتجاهاتها مع توالي السنين والأيام." [١٣ ، ص ٩٧].

ويناقشان النظرية الإسقاطية في الرسم ، ويوضحان عدة مواضيع وهي:

- التحليل الكمي، ونوع الكم.
- نوع الكم والكيف في الرسم.
- التحليل الكيفي
- الاستجابات اللفظية.
- المفاهيم ودلالات الجنس.
- العلاج والبحث.
- العلاج عن طريق الفن.

ثم ينتقلان بعد ذلك لعرض مواضيع التربية الخاصة ويبدأن بتحديد مفهوم التربية الخاصة، ثم ينتقلان إلى تعريف الطفل الموهوب ، ويصفانه بأنه ذلك الطفل الذي يظهر أداء متميزاً مع المجموعة العمرية التي ينتمي إليها - في واحدة أو أكثر من الأبعاد التالية:

- القدرة العقلية العالية (حيث تزيد نسبة الذكاء عن انحراف معياري واحد، أو انحرافين معياريين.
- القدرة الإبداعية العالية.
- القدرة على التحصيل الأكاديمي المرتفع.
- القدرة على القيام بمهارات متميزة (مواهب متميزة) كالمهارات الفنية أو الرياضية أو اللغوية.
- القدرة على المثابرة، والالتزام، والدافعية العالية، والمرونة والاستقلالية في التفكير (كسمات شخصية - عقلية، تميز الموهوب عن غير الموهوب).

ويعرضان الخصائص السلوكية للموهوب والتي تشمل الخصائص الجسمية، والخصائص العقلية ، والخصائص الانفعالية . ثم يناقشان الاتجاهات العامة في تربية الموهوبين.

ويتعرض الكتاب بعد ذلك لموضوع الإعاقة، ويحدد الإعاقة العقلية، ومفهومها السائد، وتصنيف الإعاقة العقلية، والخصائص السلوكية للمعاقين عقلياً.

وينتقل الكتاب لمناقشة الإعاقة البصرية فيعرفها، ويوضح الخصائص السلوكية للمعاقين بصرياً. ويتبع ذلك بالإعاقة السمعية، فيعرفها، ويحدد الخصائص السلوكية للمعاقين سمعياً. ويوضح أثر الإعاقة السمعية على النمو اللغوي لدى الطفل، وأثرها على القدرة العقلية، وعلى تحصيل الطفل بالمدرسة، وعلى التكيف الاجتماعي والمهني.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:—

الإعداد للفن Preparation for Art

تأليف: جون كنج ماكفي June king Mcfee

وهو كتاب يقع في ثلاثمائة وثمان وثلاثين صفحة. تقول المؤلفة في مقدمته:
"في الجزء الأول من الكتاب طورت نظرية لمساعدتك لفهم سلوك
الأطفال في الفن وهذه النظرية يمكن أن توضح الاختلافات بين الأطفال.*"
[١٤، صix]

يبدأ الكتاب بمقدمة اختارت لها المؤلفة اسم إعدادك للفن Your

Preparation for Art

ويشمل المواضيع التالية:

- اتجاهات نحو الفن.
- استخدام الكتاب.
- حدود التربية الفنية.
- استخدام البحث في مجال التربية الفنية.

والكتاب مقسم إلى جزئين يناقشان عدة مواضيع مختلفة.

الجزء الأول:

جعلت له المؤلفة ستة عناوين وهي:

١. الفن والثقافة: وتناولت فيه تعريف الثقافة، وتعريف الفن ، ودور
الفن في الثقافة ، والتقسيم بين الفنون الجميلة Fine Art
والفنون التطبيقية Applied Arts.

* هذه النظرية التي ذكرت آنفاً وهي التي ترجمها الدكتور لطفي محمد زكي تصوير مجال الإدراك (والنص
السابق قام بترجمته الباحث)

وناقشت فيه أيضاً مصادر الذوق Sources of taste، وتعلم الفنون في إطار ثقافة قبائل البالانيز البدائية Balineso ثم تعلم الفنون في الثقافة الغربية (المتحضرة). ومن الفروق التي ذكرتها..... ” إن الأطفال عند البالينيز يعتبرون كراشدين صغار Small adults ولهذا فإنهم يشتركون في أغلب النشاطات الطقوسية ، والنشاطات الفنية التي تقوم بها القبيلة“

٢. الفروق الفردية بين الأطفال.

وناقشت تحت هذا العنوان الإدراك بوصفه صورة للتصرف في المعلومات ، وتعرضت لموضوع نظرية تنظيم الإدراك ، وأتبعته ببنود الاستعداد ، والتي تشمل الاستعداد السابق للتعلم ، والفهم والتعلم البصري Visual learning والتأقلم مع الفراغ ، والمرونة والتحجر، ومشكلات تطبيق النظرية. واقترحت بعض الأنشطة الملائمة.

٣. الفروق الفردية في التطور في مجال الفن.

وتناولت تحت هذا العنوان مواضيع النمو والتطور، والنمو الإدراكي، والثقافة بوصفها عاملاً مؤثراً في النمو الإدراكي للأطفال. وتتبع بعد ذلك مشكلات التطبيق وحددت بعض الأنشطة الفنية الملائمة.

٤. العوامل البيئية المؤثرة في الأعمال الفنية للأطفال.

وشمل هذا العنوان مواضيع الحفز والتهديد وعدمه، وخبرات النجاح والفشل والتوقف، وموضوع رعاية الطفل والتربية الفنية، والتغير الأساسي الكبير في قيم المجتمع الأمريكي وفي القيم الفنية وهددت مشكلات التطبيق، واقترحت بعض الأنشطة الفنية.

٥. العملية الإبداعية.

ويشمل هذا العنوان صفات الشخصية المتصفة بالإبداع، ودور الخبرات السابقة ، واختتمت بتعقيدات التطبيق ومشكلاته واقترحت بعض الأنشطة.

٦. نظريات فن الطفل.

وتناولت فيه الإدراك، وعرضت النظريات التالية في فنون الأطفال:

أ- نظرية الواقعية السانجة.

ب- النظرية العقلية.

ج- النظرية الإدراكية.

د- نظرية الحسي والبصري.

هـ- ونظرية مراحل النمو.*

* لاحظ الباحث أن كتاب الدكتور لطفي زكي قد عرض هذه النظريات بنفس هذا الترتيب.

الجزء الثاني:

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد اختارت له جون كنج ماكفي عنوان "منهج الفن بالمدرسة الابتدائية - ويتكون أيضاً من ستة عناوين. العنوان الأول هو: إعداد الأهداف للأنشطة الفنية. وناقشت فيه صعوبات تحديد الأهداف، وأوضحت أنها ينبغي أن تتبع من المجتمع، وذكرت المصادر الفلسفية للأهداف، كما ذكرت الأهداف المستقاة من طبيعة التلاميذ، والأهداف المستقاة من مجال الفن، واختتمت هذا الجانب بتاريخ موجز للتربية الفنية في الولايات المتحدة.

أما العنوان الثاني فهو "تنظيم الخبرة التعليمية" ويشمل التخطيط للفروق الفردية، والخبرة التعليمية بالصف الدراسي، والتدريب في الفن Training in art والتقييم.

وقسمت في العنوان الثالث (حدود البرنامج الفني وترتيبه) على

النحو التالي:

- السنوات الأولية: أنشطة تعلم الفنون.
- السنوات الأولية: الفن الموجه نحو الذات.
- السنوات الأولية: الفن المتكامل.
- السنوات المتوسطة: أنشطة تعلم الفنون.
- السنوات المتوسطة: الفن الموجه نحو الذات.
- السنوات المتوسطة: الفن المتكامل.

ويتناول العنوان الرابع وهو "التقييم لمدرسي الصف "طبيعة التصميم، والأسس النفسية للتصميم، وأسس التصميم وعناصر التصميم، وبعض الأنشطة في مجال التصميم.

ويناقش العنوان الخامس (إجراءات الصف الدراسي للمعلمين الجدد) موضوع المستشار الفني The arts consultant، والأدوات الخامات، والخامات الأساسية للفن، والأنشطة الملائمة للجزء الثاني. والعنوان الأخير خلاصة لكل ما تقدم.

٢. الأطفال وفنونهم:

Children and Their Art

تأليف: تشارليس جيت تسكيل

Charles D.Gaitskell

والبيرت هورويتز Al Hurwits

وميشيل داي Michael Day

طبعت هذه الدراسة في شكل كتاب كبير الحجم، مكون من خمسمائة واثنين وسبعين صفحة من القطع الكبير، ويحتوي على عدد من صور أعمال الأطفال بألوان واضحة، وهناك عدد قليل منها باللونين الأبيض والأسود.

ويعد هذا الكتاب مرجعاً رئيساً للكثير من الكتب التي تناولت فنون الأطفال خاصة في العالم العربي. ونرى المواضيع التي عالجها هذا الكتاب معادة في كثير منها. وقد انتشر الكتاب انتشاراً واسعاً وكانت سنة طبعه هي سنة ١٩٥٨م. وفي عام ١٩٨٢م طبعت الطبعة الرابعة عشرة، وهي التي استخدمها كاتب هذا البحث.

والكتاب مكون من جزئين: اسم الجزء الأول الإعداد لتدريس الفنون
Preparing to teach art ويحتوي على خمسة عناوين هي:

العنوان الأول: أسس التربية الفنية المعاصرة: ويشمل عدة مواضيع وهي: طبيعة الأعمال التشكيلية، ومفاهيم التعلم، وقيم المجتمع، وتاريخ التغير في مجال التربية الفنية، وبعض المعتقدات الأساسية في التربية الفنية المعاصرة.

والعنوان الثاني: هو " طرق التدريس في التربية الفنية " ويشمل المواضيع التالية: علامات التدريس السيئ والمعلمون المتدربون وغير المتدربين، وبعض الممارسات غير الموثوق بها في مجال تدريس الفنون، وعرض طريقتين غير جيدتين لتدريس الفن، والتخطيط للدرس الأول.

والعنوان الثالث: هو " التصميم: أساس النشاط الفني " ويشمل: أسس التصميم، وعناصر التصميم، والاتجاهات والعمليات العقلية عند الفنان (attitudes and mental processes) واستخدام أسس التصميم وعناصره.

أما العنوان الرابع: فهو " تخطيط المنهج: تطوير برنامج دراسي " ويشمل العناوين التالية:

- من الذي يخطط برامج الفنون.
- قرارات مهمة في تخطيط برامج الفنون.
- المؤثرات على اتخاذ القرار.
- تكوين المنهج.
- نماذج تاريخية لتطوير برامج فنية.

ويأتي بعد هذا العنوان الخامس ويشمل:

- الفن والشخصية.
- مراحل التطور.
- لماذا يصنع الأطفال الفنون.
- الفنانون (المختصون) وفنون الأطفال.

- أما الجزء الثاني من الكتاب فعنوانه " التدريس: تنفيذ البرنامج الفني" ويشمل:
- العمل بخامة الورق وكيفية عمل صور بالأوراق، والنحت الورقي ، وصناعة الورق.
- النحت والفخار: التشكيل، والحفر، والبناء.
- كما يناقش النحت بالخشب، وبالجص والطين، والبناء وصناعة الفخار، ويتبع ظهور جماليات جديدة في النحت والخزف.
- الطباعة: وتشمل طريقة المسح rubbing، و الطباعة بلون واحد، والطباعة بالخضراوات والعصي واللاينو، والطباعة بالحفر على الخشب، والأشكال الأخرى للطباعة.
- وسائل الاتصال الجديدة: التصميم والاتصال. ويتعرض فيه لرسائل الإتصال بوصفها وسائل تعليمية، والوسائل بوصفها فناً، وتعدد الوسائل (العرض الضوئي) وشرائط الفيديو.
- أنشطة جماعية في الفن: وتشمل دور المعلم في الأنشطة الجماعية، وأشكال مبسطة من الأنشطة الجماعية، وصناعة لعب الأطفال وعمل الجداريات ، وبعض الأنشطة الجماعية الأخرى ، ونحو جماليات جديدة.
- أنشطة فنية لأطفال الفئات الخاصة: ويتناول الفن لذوي التعلم البطيء، والمادة التي يختارها بطيئوا التعلم، وطرق تدريسهم، وبعض الأنشطة الفردية الملائمة لهم، وقيمة الفن لأطفال الفئات الخاصة، وأنواع أخرى من الإعاقات.
- أنشطة فنية للأطفال الموهوبين والمتفوقين: ويتناول طرق التعرف على الموهوبين، وإعدادات خاصة للأطفال الموهوبين، والأنشطة الفنية الملائمة لهم، وطرق تدريس الطفل الموهوب.

- ربط الفن بالمنهج العام: ويناقد طبيعة الربط بين المواد الأخرى والفن بوصفه قوة تكاملية، ومشكلات الربط، والأنشطة الفنية الملائمة بطريقة خاصة للربط، ودراسة حالتين لتدريس برنامج ترابطي.
- عرض فنون الأطفال ويجب على السؤال "لماذا نعرض فنون الأطفال؟" ثم يتطرق لطرق اختبار أعمال الأطفال، وتنظيم العروض بالصف الدراسي، وتنظيمها خارج غرفة الدراسة، والعرض بوصفه تربية مجتمعية.
- تطوير التذوق الفني لدى الأطفال ويتناول طبيعة التذوق الفني، وبعض طرق التدريس لتطوير التذوق، والأطفال والنقد، والوسائل المعينة Teaching aids (التعليمية) لتطوير التذوق الفني.
- تقييم تقدم الأطفال في الفن: ويناقد الطريقة التي تؤثر بها أهداف التربية الفنية على التقييم، والتقييم المبني على تصنيف الأهداف Taxonomy of objectives وطرق التقويم، وطرق تسجيل التقدم في مجال الفن.
- تأسيس غرفة الدراسة لتلائم الأنشطة الفنية. وتشمل التنظيمات المادية Physical arrangements لغرفة الدراسة، والمعدات والخامات الأساسية، وأمثلة لتنظيمات غرفة تدريس الفن.

٣. تحليل رسوم الأطفال:

Analyzing Children's Arts.
تأليف روضة كيلوغ Phoda Kellagg

وهذا الكتاب مكون من ثلاثمائة وست صفحات. ويحتوى على صور بعض رسوم الأطفال. وعلى عشرة أعمال صلصالية أو فخارية، وكلها باللونين الأبيض والأسود.

وهذا الكتاب — كما تقول عنه مؤلفته:

” يصف التطور العقلي mental development للأطفال. ذلك التطور الذي يحدث عندما يمارسون النشاط الفني. فقصة التطور لدى الأطفال تبدأ منذ بلوغ الطفل أربعه وعشرين شهراً بالخريشة التي يعدها كثير من الكبار أنها لا تحمل أي معنى من المعاني، وأنها نتائج للنشاط العضلي فقط، وتستمر قصة التطور عند أطفال الثامنة الذين يعد الناس فنونهم محاولات مضمية جاهدة لتصوير ما حولهم من أشياء.. [١٥، ص ١]

وقد بذلت الباحثة مجهوداً مضمياً في كتابها، فقد جمعت نصف مليون عمل من أعمال الأطفال...” وتابعت التطور الفني للأطفال من سن الثانية وحتى سن الثامنة. وعرفت، وصنفت الأشكال المعتادة من فنون الأطفال من سائر أرجاء العالم ” [١٥، ص الغلاف الخلفي (الناشر)]

وبدأت الكتاب بموضوع الرؤية وأهميتها. فالرؤية تتم بالعيون.....” والذي تفعله العيون هو أنها تغذي العقل بالمعلومات التي يتم تشفيرها إلى نشاط عصبي.“ [١٥، ص ٧]

وناقشت بعدها موضوع الخريشة الأساسية Basic Scribbles ووصفتها بأنها عشرون نوعاً من العالقات وأن الذي ينتجونها هم أطفال السنين، أو الذين تقل أعمارهم عن السنين. وبعد أن أوضحتها بالرسوم وحددت أسماءها انتقلت إلى الخريشات الأساسية واتبعتها بالوحدات الزخرفية، ثم أوضحت بعد ذلك. الطريقة التي يبدأ بها ظهور الأشكال وتكوينها لدى الأطفال. ثم ناقشت الأشكال بنفسها وتوصلت إلى أنها تكون محددة بستة أشكال أساسية.

وقد تتبعت المؤلفة طريقة جمع الأشكال إلى بعضها The combines وهو مصطلح قد ابتكرته هي، ويتبعها كل الدارسين بعدها وتعني به جمع شكلين بعضهما إلى الآخر . أما جمع الأشكال الكثيرة عند الأطفال فقد أطلقت عليه مصطلح التجميع The Aggregate.

وانتقلت بعد ذلك لظاهرة الدوائر واختارت للدوائر اسم الماندالا mandala وهو اسم باللغة السانسكريتية* Sanskrit أطلق على الدائرة وعلى ما يكون به من أشكال هندسية مختلفة.

وتتبعت تطور تلك الأشكال الدائرية وكيف يحولها الطفل إلى شكل الشمس the sun ثم يطورها لاحقاً لإيجاد أشكال مختلفة، بإضافة بعض الأجزاء الأخرى وينتقل بعد ذلك لرسم الإنسان ثم الحيوان والمباني، والنباتات، وغيرها.

ويناقد الكتاب بعد ذلك الطرق التي يؤثر بها الكبار على فنون الأطفال. وينتقل بعدها للنظريات المتعلقة بفن الأطفال. وقدمت المؤلفة للنظريات بالنص التالي:

” إن أي تجربة بسيطة يمكن أن تحمل أو تنشئ أي كمية من التظير أو المحتوى الفكري ، لكن النظرية التي لا تدعمها التجربة لا يمكن فهمها حتى بوصفها مجرد نظرية ،، [١٥، ص ١٦٩].

وتعرضت الكاتبة بعد ذلك لبعض النظريات التي كتبت حول فنون الأطفال وانتقدتها قائلة :

” إن كثيراً من نظريات فنون الأطفال مبنية على تجارب قليلة جداً ، ويبدو أن بعضها لم يكن مبنياً على أي نوع من التجارب.” [١٥، ص ٢٢٦].

واختتمت المؤلفة كتابها بمعاني فنون الأطفال وتصنيفها.

* السانسكريتية هي لغة الهند الأدبية القديمة. وتعد من اللغات التاريخية غير المستخدمة اليوم.

المناقشة:

تعد الدراسات التي عرضها الباحث أنفاً أهم ما كتب في مجال فنون الأطفال عامة، وفي مجال نظرياتها خاصة. وقد لاحظ الباحث عدة أمور أثناء دراسته لها من ذلك أنه لا يوجد من بينها من تخصص في نظريات فنون الأطفال فقط، فالذي يبحث في هذا المجال في حاجة ماسة لوجود كتاب واحد يجمعها معاً. فكل ما جاء عن النظريات جاء مفرقاً بين مواضيع شتى يتناولها كل كاتب في معالجته لقضية فنون الأطفال.

ومنها أيضاً أنه لا يوجد تسلسل تاريخي ينظم هذه النظريات ، وحتى عندما يعرض كثير من الباحثين نظرياتهم فإنهم يعرضونها بطريقة موجزة دون التعرض للظروف التي نشأت فيها ، وللطريقة التي تكونت بها ، ولمحاولات تطبيقها . فالذين تناولوا جانباً من هذه الجوانب أهملوا بعضها، وكلهم لم يهتموا بترتيبها التاريخي الذي يحصرها كلها في مكان واحد ويؤرخ لها ، ولأعلامها.

وواضح أن بعض تلك النظريات قد تعجل أصحابها ووضعوها دون تحقق ودراسة كافية، وذلك ما سبق أن علفت عليه روضة كيلوغ Rhoda Kellogg بقولها: "إن كثيراً من نظريات فنون الأطفال مبنية على تجارب قليلة جداً، يبدو أن بعضها لم يكن مبنياً على أي نوع من التجارب." [١٥]، ص ٢٢٦]

وعندما يأتي هذا الرأي من باحثة ظلت تبحث ميدانياً منذ عام ١٩٢٨ (كما أثبت الناشر ذلك في الغلاف الخلفي لمرجعها السابق الذكر) فإن ما تقوله لا يمكن أن يكون قولاً غير مدروس، ولا تؤيده البراهين والحجج والأمثلة. وقد اتضح بعض من ذلك لكاتب هذا البحث، غير أن المجال لا يسمح بمناقشة ذلك الموضوع هنا.

ومما لا حظّه الباحث أيضاً أن بعض المراجع تتقلّ من الأخرى، وبعضها يعدّ ترجمة لفصول بأكملها من مراجع أجنبية، مع تغيير طفيف في محاولات التطبيق، أو في طريقة العرض وهذا واضح في بعض المراجع العربية خاصة.

ولما تقدّم من أسباب يرى الباحث أن يتعرّض لموضوع نظريات رسوم الأطفال منذ أن نشأت الفكرة ويتتبع تطورها حتى يومنا هذا، ثمّ يستشرف المستقبل من خلال القراءة المتمعنة للماضي وللحاضر. ولم تبدأ فكرة نظريات فنون الأطفال في عصرنا الحالي بل بدأت منذ ثلاثة قرون من الزمان. وبدأت بنظرة جديدة للطفل في كل ميادين المعرفة، لا في ميدان الفنون فقط.

بداية التعرف على فنون الأطفال:

ظلّ الطفل بعيداً عن دائرة الاهتمام في مجال الدراسات الخاصة بالجوانب المعرفية عامة، والجوانب الفنية خاصة، حتى أواسط القرن الثامن عشر. وأول كتابة منظمة عن الطفل في التاريخ هي تلك التي كتبها جان جاك روسو* Jean Jacques Rousseau فهو أول مفكر ينظر إلى الطفل بوصفه " فرداً من أفراد المجتمع لكنه في حالة نمو وتغيّر، ولا ينبغي أن ينظر الناس إليه وكأنه راشد صغير" [١٦، ص ٢٥]. ولم يكتف بالإشارة إلى أن الطفل فرد خاص ويجب أن يعامل معاملة خاصة " بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فحدد مراحل نمو الطفل ومراحل النضوج (maturation stages) لديه" [١٧، ص ٢٨].

* من أشهر الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في القرن الثامن عشر، فقد عاش في الفترة ما بين ١٧١٢م و١٧٧٨م. وقد أثرت آراؤه كثيراً في تطوّر الفكر الفرنسي، وهو مؤسس الديمقراطية الحديثة.

وقد تتبع في نظريته عن الأطفال ، تاريخ تطور الإنسان فالطفل حسب هذه النظرية يمر بأربع مراحل وهي:

١. المرحلة الحيوانية animal stage.

ويرى أن هذه المرحلة تستمر منذ ميلاد الطفل وحتى يبلغ الخامسة من عمره.

٢. مرحلة الوحشية Savage Stage وتستمر هذه المرحلة من بعد سن الخامسة وتستمر حتى سن الثانية عشرة.

٣. مرحلة التعقل Rational Stage وتستمر هذه المرحلة من بعد سن الثانية عشرة وتستمر حتى مرحلة البلوغ (puberty).

٤. المرحلة الاجتماعية social stage وتستمر من مرحلة البلوغ وحتى يكبر الطفل ويكون راشداً (adult).

ولم يقف روسو عند هذا الحد، بل تعداه وخطط لطريقة تدريس الفنون للأطفال، وأوضح دور المعلم، في التدريس ، فجعل المعلم يقول:
" سوف أتتبع طريقته* في مسك القلم."

وسوف استخدمه بنفس الطريقة الرديئة التي يستخدم بها تلميذي الصغير، وسوف أتتبع خطواته، وقد أتقدم أكثر منه بقليل حتى يمكن أن يلحق أو يسبقني دون عناء. وسوف نقوم بالتلوين، والتشكيل (بالطين أو الجص).
لكن في تلك الأنشطة لن ننسى مراقبة الطبيعة." [١٨، ص ١٣٤].

ويستطرد بعد ذلك ليوضح أننا إذا جعلنا التلميذ يرى ما تنتجه الطبيعة، وما يقدمه الفن ، وإذا نجحنا في استشارة حب الاستطلاع لديه ، وتتبع ميوله فيمكننا أن ندرس ذوقه ، وميوله الطبيعية ونكتشف الشرارة الأولى التي تنبئ بعبقريته.

* المعلم يتتبع طريقة الطفل في الرسم وأسلوبه.

وقد أثرت آراء روسو هذه عن الطفل وفنونه على كتابات الفلاسفة والأدباء الذين أتوا بعده. وخاصة الفلاسفة الرومانسيين أمثال شيلر Schiller وبليك Blake وويردز ويرث Wardsworth وكولردج Coleridge.

ولم يقف تأثيره على الفلاسفة والأدباء بل تعداهم إلى المصلحين التربويين، فظهرت في أوروبا حركة دراسة الطفل التي فتحت المجال واسعاً أمام المنظرين في المجال التربوي. وانطلقت بعد ذلك النظريات في دراسة الأطفال ودراسة فنونهم.

حركة دراسة الطفل، ونظريات فنون الأطفال:

انتشرت آراء روسو، وتبعها عدد كبير من المفكرين الذين جاءوا بعده لاحقاً، وتعددت الدراسات عن التربية وعن الطفل خاصة نتيجة للتطورات الكبيرة التي حدثت في جميع الجوانب الثقافية والاجتماعية وقد تزامنت كلها فازدهرت الحياة الفكرية والتربوية. وظهر عدد من العلماء أثروا تأثيراً واضحاً في النظريات التربوية، لاسيما تلك التي تتعلق بالطفل ونموه، وطرائق تفكيره الكيفية التي تتكون بها مقدراته الإدراكية والفكرية، ومقدراته الحركية.

وقد تضافرت عدة علوم معاً لتجعل المجال التربوي عميقاً، وتجعل لنظريات دراسة الطفل أبعاداً واسعة المدى. فتجمعت معطيات الفلسفة، مع معطيات علم النفس مع معطيات علم الإنسان (الانثروبولوجي)* واكتشف العلماء ضرورة تضافر هذه المجالات حتى تكتمل الثقافة، ويصبح المشروع

* يفضل الباحث مصطلح "علم الإنسان" أو علم السلالات " على مصطلح الانثروبولوجي " فالكلمة الأخيرة معربة ومكونة من مقطعين anthropo وهو الإنسان والمقطع الثاني ology وهو علم . ولهذا فسوف يلتزم الباحث بالترجمة بدلا من التعريب.

التقافي سليماً . قال هيربرت اسبنسر Herbert Spencer في مقالة له نشرها عام ١٨٥٠م ” ليس من الممكن لمشروع ثقافي أن يكون متقناً ، لا في المحتوى ولا في الشكل إلا بعد تأسيس علم النفس العقلي أو الإدراكي “. [١٩، ص٣]

ولم يقف نشاط اسبنسر الفكري على التركيز على علماء النفس بل دعا علماء الطبيعة، والإحصاء، إضافة إلى علماء الإنسان والنفس وكانت النتيجة أن نشأت حركة دراسة الطفل Child Study movement. وأصبح المعلمون يميلون للنظرة العلمية بعد تعرفهم على تلك العلوم وآثارها وارتباطها بالتربية.

وازدهرت دراسة الطفل، وتوسعت مجالات الدراسة، فانطلق بعض العلماء ليجري أبحاثاً وينشئ نظريات عن الأطفال كأفراد، كما درس بعضهم الأطفال في شكل مجموعات، أو أعداد كبيرة . وحتى الذين درسوا الأطفال في شكل جماعات، انقسموا على قسمين أساسيين:

اختار القسم الأول أن يدرس الأطفال مسترشداً بأساليب ومعطيات علم الإنسان أو علم السلالات (الانثروبولوجيا) فشملت دراساتهم قياسات وتعداد الدراسات الثلاثية الأبعاد التي تشمل السمات البدنية للأطفال ، وألوان سحناتهم ، وألوان الشعر لديهم ، كما اشتملت درجة النمو لدى الأطفال مقارنة بالصحة ، وبالزمن أي الفصل من فصول السنة .

أما القسم الثاني فقد اختار انتهاج مناهج علم النفس وأساليبه فشملت دراساتهم النفسية عدة مجالات منها:

١. دراسات في الميدان الحسي كدراسة اللمس، والنظر، والشم، والذوق والسمع.

٢. دراسات في الإدراك: وتناولت هذه الدراسات العمليات الفكرية، وأجراء اختبارات ودراسات مسحية للذاكرة، وللتخيل، والتصوير عن الذات Sense of Self ، والأفكار الأخلاقية والدينية ، والنخيرة اللغوية وكنب الأطفال وما إلى ذلك .

٣. دراسات في ميدان الحركة. وشملت دراسات الحركة هذه أو التي يطلق عليها مصطلح motor skills العمل اليدوي واللعب، وأهميته لدى الأطفال، ومدى النشاط الحركي ، وأوقات ردود الفعل عند الأطفال والجوانب الجسمية للغة ، ونحو ذلك. وقد تداخلت هذه الدراسات عند تطبيقها على الأطفال. فقياس الأجسام على سبيل المثال من تخصص علم الإنسان أو السلالات، غير أنه في الوقت نفسه يعد من تخصصات علم النفس الوراثي. وكان لهذا التداخل والتمازج بين العلوم أثر طيب في إثراء الجانب التربوي، وفي تعميق نظريات فنون الأطفال.

نظريات فنون الأطفال:

١- النظرية التطبيقية

أو "نظرية حيوية الفن في طبيعة الطفل". ظهرت هذه النظرية خلال القرن التاسع عشر (١٨٨٥م) وقد أوجدها كل من ايبنسر كوك Ebeneser Cooke وجيمس سالي James Sally وتوماس اولوت Thomas Ablett وأطلق عليها اسم: Child art as a Vital Part of Child Nature

تعتمد هذه النظرية على اعتبار أن الفن تصوير للجمال في الطبيعة، وتعبير عنه، وأن مصدر الفن هو الإلهام الجمالي. وتقارن هذه النظرية بين

التعبير عن الفن بصرياً، وتعلم اللغة، فالطفل في سنواته الأولى يعبر بطريقة تلقائية، والمعرفة الفنية لديه تتكون عن طريق التقليد.

وقد تأثرت هذه النظرية بأفكار اسبنسر Spencer الذي يرى أن هذه العملية (المعرفية) لها ثلاثة جوانب.

فالمتمعة تتزامن مع المؤثر الخارجي، ومع أنشطة الإدراك ومع الترابطات المتعددة مع الأفكار والمشاعر الناتجة عن خبرات الطفل السابقة. وتعزز الوسيلة البصرية Visual media التطبيقات التقنية والعناصر الجمالية للتعبير. وقد أثبت ذلك سالي Sally وهو من مؤسسي هذه النظرية بقوله:

” من الواضح أن تطبيق عملية طويلة كهذه يستدعي تنظيمًا دقيقاً يربط بين الفن والعقل واليد. لأن أغلب التنظيمات اليدوية تكون وقتية ولا شعورية. وفي الوقت نفسه فإن العملية تتطلب تركيزاً عالياً. فإذا لم نضع التصميم الأساس أماناً ونعمل على نقله خطوة خطوة فإننا سوف نقع لا شك في الخطأ “. [٢٠، ص ٣٨٧].

ويؤكد ايبترزر كوك Ebeneser Cooke وهو المؤسس الثاني لهذه النظرية ضرورة تمرين الطفل على نقل الطبيعة ونقل الأشياء كما هي وذلك بقوله:

”إن رسم الأشياء (الطبيعية الصامتة) يقوي التدريب على الملاحظة، غير أن الخيال أيضا مهم...“ [٢١، ص ١٤].

وتؤكد هذه النظرية على أن الطفل عندما يسعى في تحقيق ما يسعده فإنه يرى في نفسه أنشطة ذاتية كالتعبير عن الذات من خلال الأنشطة الفنية، ويحصل في النهاية على شعور عميق بالرضا، وبالسمو والجمال.

ولكي نحقق هذه الأهداف لدى الطفل، على المعلم أن يراقبه بصمت، وأن يدرس ما يقول به ويتعلم منه ، وأن يقدم له فنا ملهماً حتى يتأثر به وعليه أن يلفت انتباهه إلى روائع الطبيعة وجمالها خارج غرفة الدرس.

ويلخص أصحاب هذه النظرية دور المعلم في نقطتين:

١. مساعدة الطفل لعمل صور.

٢. تدريب الخيال والذكاء من خلال الذاكرة البصرية.

٢. النظرية الجمالية:

أو نظرية " فن الطفل أسلوب جمالي خالص " Child Art as Pure Aesthetic Style

أول من أوجد هذه النظرية هو فرانز شيزيك Frans Cizek. وهو أول من قال إن رسوم الأطفال تعد فنوناً كاملة، لها قيمها الجمالية الخاصة وقد ظهرت هذه النظرية في بيئة ثقافية كانت تعد رسوم الأطفال مجرد خريشة لا ينبغي أن يهتم بها الناس ، وقد ينظرون إليها لمجرد التندر والسخرية والضحك وقد أوجد نظريته هذه في الفترة ما بين ١٨٨٧ و ١٩٣٨ م وهي الفترة التي عمل فيها بتدريس الأطفال ومن الظروف التي ساعدت على تقبل أفكاره ، وتأييد هذه النظرية ، الاتساع في مجالات الاكتشافات العلمية في مجال علم النفس وفي مجالات التاريخ وعلم الإنسان أو السلالات. وكانت كل هذه قد ازدهرت في وقت ظهور هذه النظرية من بداية القرن العشرين.

فمن مجال التاريخ استقى فكرة أن فنون الإنسان الأول لها سمات بسيطة. ومن علوم الإنسان والجغرافيا استلهم إن فنون بعض الشعوب التي تعيش في بيئات تقليدية، وتعيش حياة أقرب إلى حياة الإنسان القديم ، تنتج فنا له مميزات خاصة ، وهو فن بسيط يتسم بالتلقائية والعفوية ، يربطه بعض

الروابط بفنون الأطفال . فعندما اعترف الناس بجماليات تلك الفنون، كان لا بد أن يعترفوا بجماليات فنون الأطفال. ومن هنا حصلت النظرية على تأييد العلماء والتربويين. وأصبحوا ينظرون إلى فن الطفل بوصفه فناً مستقلاً وليس فناً مرحلياً يتطور لينتج منه فن الكبار أو الراشدين.

تقول نظرية فرانز شيزيك إن لفن الطفل قواعده الخاصة وأن الطفل ينتج فناً له مميزات خاصة خلال كل مرحلة من المراحل التي يمر بها . وقال إن فن الطفل تمر بالمراحل التالية:

١. حالة الطفولة الحقة Real Infantile State وقسمها بدورها إلى

ثلاث مراحل أخرى وهي:

أ- الخريشة Scribbling

وتستمر هذه الفترة منذ بلوغ الطفل سن الثامن عشر شهراً من عمره وتستمر حتى بلوغه العامين من العمر.

ب- مرحلة الإيقاع الروحي واليدوي Rhythm of Spirit and Hand وإعادة الألوان، والخطوط والحركة.

ج- مرحلة تكون الأشكال الرمزية واللونية.

٢. بداية تكون أنماط معينة Formation of types

٣. إدخال بعض الخواص من الخبرة، مثل التصوير الطبيعي (الواقعي)، والمتعارف عليه، والتصوير الخيالي.

٤. مرحلة التفرقة بين الاتجاه، واللون والحجم والفراغ.

٥. مرحلة الوحدة الخالصة Pure Unity في تحديد الأشكال والأحجام.

٦. مرحلة التدهور نحو فن المراهقة ، والذي يتزامن مع فترة البلوغ.

[٢٢، ص ٢٥].

ومن أهم ما نادى به شيزيك " إن لكل طفل قانونه ونظامه الخاص به ويجب أن يترك ليطور وينمى أسلوبه الخاص به. ولا ينبغي أن يتعرض

أي طفل لذلك النظام الجاف الجامد الذي تدرس بها مقررات التعليم الفني (technical education) ولا ينبغي فرض آراء الكبار وطرقهم وأساليبهم على الأطفال، بل ينبغي أن يختار الأطفال خاماتهم التي يعبرون بها، ويدعون بها. ويجب أن يتركوا ليتطوروا بأنفسهم بما يختارونه من خامات. ولا يجب محاولة الإسراع بتطورهم لقوانين الكبار الفنية وأفكارهم. ولا ينبغي السخرية من أعمالهم أو نقدها بطرق غير واعية ولا يجب أن نهتم بالجانب المهاري على حساب الأفكار الإبداعية لدى الأطفال." [٢٣، ص ٢٠].

وقارن عملية النمو الفني للطفل باللعب. فالعملية الفنية في نظره مثل اللعب تماماً حيث يتمكن الطفل من السيطرة على تعبيره الذاتي من خلال التكرار وإعادة، والاكتشاف للأشكال الفنية الجديدة.

٣. النظرية الإبداعية العلمية الاجتماعية في فنون الأطفال:

Child Art as Creative Scientific Inquiry and Social Movement

والعالم الفيلسوف الذي أوجد هذه النظرية هو جون ديوي * John Dewey وذلك خلال الخمسينات من القرن العشرين.

ويلاحظ أنه قد جمع عدة مصطلحات في عنوانه وهي تشمل "الإبداع" و"الاجتماع" و"العلم" و"البحث" inquiry. ويعود هذا لأن الحياة مترابطة لا شئ فيها يكون مفصولا عن غيره...

"فالكيفيات الحسية، سواء أكانت للمس، أم الذوق، أم البصر، أم السمع، تتطوي على صبغة جمالية. ولكنها لا تتطوي على هذه الصبغة

* جون ديوي John Dewey درس الفلسفة وبعد تخرجه عام ١٨٧٩م نشر أول بحث فلسفي له حصل على دكتوراه الفلسفة عام ١٨٨٤م من جامعة جون هو بكينز. أنشأ ثورة "التربية التقدمية" من جامعة شيكاغو أثناء عمله بها. وأنشأ مدرسة تجريبية لتطبيق نظرياته الجديدة. وانتقل للعمل بجامعة كولمبيا - نيويورك من عام ١٩٠٤م والى بلوغه سن المعاش عام ١٩٤٠م. توفي عام ١٩٥٢م.

الجمالية على انفراد. بل من حيث هي مترابطة ، أعني أنها ليست موجودات مجردة ،منفصلة ، بل هي عناصر متداخلة متفاعلة . فضلاً عن ذلك فإن العلاقات ليست مقصورة على أنواعها الخاصة، بحيث تكون الألوان مع الألوان، والأصوات مع الأصوات بل إن أقصى ما وصل إليه الضبط العلمي لم ينجح في الحصول على لون " نقي" أو طيف خالص من الألوان. “ [٢٤، ص ص ٢٠٢-٢٠٣].

تقول نظرية ديوي إن الطفل يتعلم بواسطة مواقف طبيعية ومعقده، وإن الخبرة الفنية art experience تمده بنظام طبيعي لكي يعرف ويعمل. وأنه يفهم أنواع الفنون ويعبر عنها بتلقائية وكل طفل يفعل ذلك من خلال اهتمامات خاصة، وبسرعات تختلف من طفل إلى آخر. فالواقع الاجتماعي والواقعي، وحب الاستطلاع الشخصي، تزيد القدرات التعبيرية والاتصالية والإنسانية والتجريبية. والطفل كما يرى ديوي:

” هو العنصر الرئيس في العملية الفنية، غير أن الذي يمر به مهم بنفس الدرجة. وأن ما يحدث كنتيجة للعملية الفنية يكون في غاية الأهمية له وللمجتمع.“ [٢٥، ص ٦٢].

وتركز هذه النظرية على أهمية الفن للأطفال، وترى أن الفن يمد الأطفال بخبرات عديدة. وأن هذه الخبرات الفنية هي جزء من الحياة اليومية. وأن الأحاسيس والصور، والأفكار تكون شريطاً متصلاً من الوعي.

٤. النظرية التحليلية:

أو فنون الأطفال للتذوق والتكوين الفني

Child Art as Art Appreciation and Composition.

أوجد هذه النظرية ويزلي داو Wesley Dow. وتقدم هذه النظرية على أساس أن التذوق الفني، وفهم الكيفية التي تجمع بها عناصر الفن وأسه

لتوجد التكون (composition) هي روح الجمال، وأن.....” الفهم الأفضل لأهمية الفنون في حياتنا يقتضي الاعتراف بالقوى الإبداعية بوصفها موهبة تحفز روح كل إنسان، وتبدو لأول وهلة في تلك الصورة التي تسميها: التذوق الفني“ [٢٥، ص ١].

وترى هذه النظرية والتي ازدهرت خلال النصف الآخر من خمسينات القرن العشرين أن الطفل ينبغي أن يعلم طرق تنظيم العناصر الشكلية للفن، وطرق التعبير عن الجمال، لا مجرد النقل من الأشكال الطبيعية ومحاكاتها. ولا بد أن يدرس الطفل أعمال الفنانين الكبار* . ليستعلم منها أصول التنظيم والتكوين.

وتهدف هذه النظرية إلى تقوية عزيمة الطفل، واعتماده على نفسه، لا على عوامل خارجية. فبالإضافة إلى فهم التذوق الفني سوف يعزز من قوة الطفل. وقد أكد على أهمية المشاعر الخاصة، والطرق الفردية الجديدة للتعبير عن الأفكار من خلال الفن:

وتقول نظرية التحليل إن أول خطوة لتحقيق التكوين هي الانسجام harmony والخطوات التالية تليها حتى يصل الطفل إلى التكوين الكامل. وفي تتبعها تدريب لعقل الطفل. [٢٦، ص ١-٣٢].

٥. نظرية التصور العقلي:

أو نظرية الفن والتصور العقلي:

Child Art as Mental Imagery

يعود تأسيس هذه النظرية إلى كل من ماريان ريتشارد سون Marian Richardson ورود جر فراي Rodger Fry وقد انتشرت نظريتهما مع بداية الستينات من القرن العشرين بعد عقد كامل من ظهورها.

* ويقصد بالفنانين الكبار فناني عصر النهضة خاصة، أمثال ليوناردو دافنشي ورفائيل، ومايكل انجلو.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن طبيعة الفن متأصلة في الإنسان وأن الصور الذهنية هي مادة التعبير الذاتي. وبما أن الأطفال يمكن أن يعبروا عن أفكارهم فإنهم فنانون، وأن أعمالهم أعمال جمالية. فالعملية الفنية تتطور من تصورات الفن الداخلية Inure-eye لا من إدراك الأشياء الخارجية بالعين الحقيقية physical-eye. ورغم ذلك فإن الملاحظة ومهارات التذكر تعزز تطور الصور الذهنية، كما يعززه أيضاً التعبير عن المشاعر والعواطف. تقول ماريان ريشارد سودن:

” إن ما يضعه الطفل على الورق في الصورة الأولى التي رسمها يعني بالنسبة لنا مجرد خربشة، أما بالنسبة له فإنه عمل واضح ومكتمل. أنه لا يرى ما هناك، لأنه ينظر إلى فكرته لا إلى رسمته.“ [٢٧، ص ٥٦].
ولتقوية الخيال فقد ابتدع مؤسسو هذه النظرية، طريقة الفن المغلقة (The shut-eye) في التعلم، حيث تعرض الأشياء لفترة أمام الأطفال، ثم تبعد عنهم ليرسموها من الذاكرة. وهذه العملية تطور في الأطفال كلاً من الجوانب التالية:

١. مهارات الملاحظة لدى الطفل.
٢. تدريب الذاكرة وتقويتها.
٣. حفز الجانب الإبداعي لدى الطفل.

٦. النظرية الإدراكية

فن الطفل كمييار للمعرفة:

Child Art as Cognitive Measurement

تعود فكرة هذه النظرية إلى كل من فلورانس جود ايناف Florence Goodenough وديل هاريس Dale Harris وأول ظهور هذه النظرية

كان في كتابهم الصادر عام ١٩٢٦م غير أن النظرية لم تشتهر إلا بعد ثلاثة عقود من الزمان،

وهذه النظرية تختلف عن سابقتها في أنها لا تنظر إلى رسوم الأطفال بوصفها أعمالاً كاملة، وإنما تراها انعكاسات للتطور المعرفي reflections of cognitive development فصور الأطفال تمثل تكوينات معروفة عالمياً، لا جماليات نابغة من دواخلهم . والفن شيء معقد، وتصوير واقعي ينتج من ذهن ناضج.

فرسومات الأطفال ليست أعمالاً فنية، ولكنها مهمة جداً بوصفها مؤشراً لتحديد التفكير العقلي لأن... ”رسوم الأطفال الصغار ما هي إلا لغة، وهي شكل من أشكال التعبير العقلي، وهدفها ليس هدفاً جمالياً، فالطفل يرسم ما يعرف لا ما يراه من أشياء.“ [٢٨، ص ١١١].

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الرسومات التي يرسمها الأطفال مبنية على المفاهيم.

يقول ديل هاريس:

” إن رسوم الأشياء مبنية على مفاهيم، والمفاهيم مبنية على التجربة مع الأشياء. فالخبرة تزيد مظاهر الأشياء التي يتم التفاعل معها، ويتم فهمها، وتحتويها الرسوم. والعلاقة بينها تفهم بوضوح. وهكذا الأمر مع الخبرة، فإن عدداً كبيراً من المظاهر الثابتة، والمجردة يتم فهمها واستخدامها في الرسوم.“ [٢٩، ص ١٩٥].

وقد صنفت جود ايناف عملية الرسم إلى ثمان مجموعات من المفاهيم

العقلية وهي:

١. الربط بالتشابه.
٢. التحلل إلى الأجزاء المكونة.
٣. تقييم هذه الأجزاء.

٤. تحلل العلاقات الفراغية، والوضع النسبي.
 ٥. الحكم على العلاقات الكمية، والنسب المتعلقة بالموضوع.
 ٦. عملية تحديد أكثر
 ٧. تآزر حركة العين واليد.
 ٨. التكيف.
- وواضح أن هذا الفن الذي نتحدث عنه يقوم على أساس واقعي. فالتطور الإدراكي يتم الحكم عليه بمقدار ما في عمل الأطفال من تفاصيل. وقد تتبع واضعو هذه النظرية ومؤيدوها تطور رسوم الأطفال خلال عمرهم ليؤكدوا ويثبتوا صدق نظريتهم.

٧. نظرية الحساسية والانسجام

أو فن الطفل للحساسية والانسجام Child Art as Sensitivity and Harmony

أوجد هذه النظرية هيربرت ريد Herbert Read الفيلسوف والمربي الإنجليزي المعروف عام ١٩٥٨م. وقد استفاد من النظريات السابقة في مجال علم النفس مثل النظرية الكلية الجشطالت Gestalt، واستفاد من تقسيمات الفن لدى الأطفال إلى ثمانية أنواع وهي

١. التعدادي enumerative
٢. العضوي Organic
٣. الزخرفي decorative
٤. التخيلي Imaginative
٥. التأكيدي emphatic
٦. الحسي التعبيري expressionist haptic
٧. الشكل الإيقاعي Rhythmic pattern

٨. البنائي structural form

وأوضح أن هذه المجموعات لا تكون في الغالب واضحة الحدود، إنما تتداخل في بعضها وقد ذهب ريد إلى أن فنون الأطفال تمر بسبع مراحل هي:

١. مرحلة الخربشة Scribble stage

٢. مرحلة الخط Line stage

٣. مرحلة الرمزية الوصفية descriptive symbolism

٤. مرحلة الواقعية الوصفية Descriptive realism

٥. مرحلة الواقعية البصرية Visual realism

وهي مقسمة إلى قسمين، وهما:

أ- مرحلة البعدين two - dimension phase

ب- مرحلة الأبعاد الثلاثة Three dimensional phase

٦. مرحلة الكبح أو الكبت Repression stage

٧. مرحلة البعث الفني Artistic revival

وأكد هيربريت ريد على وحدة الانسجام بين الفرد والمجتمع وقال إن معنى التعبير بالنسبة للفرد يستدعي ثلاثة أنشطة وهي: التعبير عن الذات، والملاحظة، والتقدير. فالفن عنده هو العملية العامة التي يحقق بها الفرد الانسجام بين عالمه الذاتي الداخلي، والنظام الاجتماعي الذي يعيش فيه. وأكد على أهمية الحساسية للمحافظة على الحضارة. وعليه فلا بد من أن يكون الفن هو أساس التربية education through Art ويقول فيه:

” لقد ذكرت القارئ من قبل بأهمية الإحساس والشعور في زمن يمارس الوحشية ويوصي بالمثالية. وقد كونت نظرية تحاول أن توضح انه إذا

راعينا في تربيته لأطفالنا أن نحافظ بالطريقة التي وصفتها - على حيوية أحاسيسهم فإننا قد ننجح في ربط العمل بالمشاعر بل قد ننجح حتى في ربط الواقع بالمثل والقيم . ولن تكون المثالية بعد هذا هروباً من الواقع، بل ستكون استجابة إنسانية بسيطة للواقع.“ [٣٠، ص ٣٠٢].

٨. نظرية النمو الإبداعي والعقلي

أو فن الطفل للنمو الإبداعي والعقلي: Child art as Creative and Mental Growth

أوجد هذه النظرية فيكتور لوفيلد V. Lowenfeld , عام ١٩٥٤م تعتبر نظرية لوفيلد هذه عن فنون الأطفال، أن الفنون مرتبطة بذاتية الطفل. وأن هذه الفنون إلهامية وذاتية ، ومعبرة عن ذات الطفل، وتحقق له التواصل مع الآخرين. فالخطوط والفراغ، والضوء، والظل، تعكس قيماً عاطفية، وترتبط بين مشاعر الطفل وتفكيره وإدراكه وتحقق بذلك النمو الإبداعي والعقلي.

وقد عرف لوفيلد الإبداع بأنه الحساسية نحو المشكلات، والطلاقة، والمرونة، والأصالة والتحليل، والتركيب والتماصك. وأن الحساسية تؤثر على الإبداع من خلال الخواص التالية:

١. الحساسية الفكرية Intellectual sensitivity

٢. الحساسية الإدراكية perceptual sensitivity

٣. الحساسية الاجتماعية والعاطفية Social and emotional sensitivity

٤. الحساسية الجمالية Aesthetic sensitivity

ويرى لوفيلد أن رسوم الأطفال تمر بست مراحل وهي مرتبة على

النحو التالي:

١. مرحلة الخربشة scribbling (من عامين إلى أربعة أعوام)

وتنقسم إلى ثلاث مراحل وهي:

أ- الخربشة غير المنظمة Disorganized

ب- الخربشة المنتظمة Controlled

ج- الخربشة المسماة Named

٢. مرحلة ما قبل التخطيط preschematic stage

٣. مرحلة التخطيط Schematic Stage

٤. مرحلة الجماعة the gang age

٥. مرحلة التفكير the age of reasoning

٦. مرحلة المراهقة adolescence

ويرى لونغفيلد... " أن الفن يشبع حاجات حيوية لدى الطفل، فهو يتيح له فرصة (أ) أن يرسم، (ب) وأن يصور البيئة التي يعرفها (ج) وأن يعبر عن أفكاره (د) وأن يوضح العلاقات بين الأشياء والناس، (هـ) وأن يعبر عن نفسه بطريقة مفهومة. " [٣١، ص ٥٧].

٩. نظرية الإدراك الكلي:

Child as Gestalt Perception and Visual Conception

أوجد هذه النظرية كل من شيفر سيميرن Schaefer - Simmern

ورادولف أرنهايم Rudolf Arnheim عام ١٩٤٨م رغم أنها لم تنتشر

إلا لاحقاً وهما يؤمنان بالفكرة التي تقول إن الفن مفهوم بصري Visual

Concept وليس تجريباً فكرياً محسوباً . فالنشاط الفني نشاط يكون شيئاً

بصرياً كلياً مبدعاً يقول شيفر:

" يمكن التفرقة بين العمل الفني التشكيلي من أي عمل تصويري آخر

بالعلاقة الوظيفية بين أجزائه. فالعمل الفني التشكيلي نشاط عقلي تلقائي، وهو

استيعاب عقلي، وتحويل لخبرة حسية إلى كيان جديد مبتكر. وهذا الشيء الذي يسمى بالشكل الفني هو لغة الفنان التي يعبر بها عن أفكاره بصرياً. وفتياً إنه الشكل الفني الذي يحقق خبرة محددة بوصفها خبرة فنية، وأنه يوضح الوعي الفني للشخص الذي ابتكره. [٣٢، ص ٨].

وقد ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن فهم وتطوير البصر المجرد pure vision أو الإدراك البصري visual conceiving بوصفه عاملاً يحقق التوازن في التعبير الفني، قد يؤثر على علاقات الفنان الانسجامية مع نفسه، ومع البيئة المحيطة به، ومع المجتمع.

وأخيراً فهذه النظرية ترى أن التوازن مهم جداً، وأن التكوين في الفن Composition ينمي الصحة العقلية بإبعاد الحيرة، والتشتت، وأن الانسجام يبدو في الفن، وبوساطة الفن.

١٠. نظرية الرمزية والنموذج:

Child art as Symbol and Archetype أوجدت هذه النظرية روضة كيلوغ^{١*} Rhoda Kellog، وسيونويد روبرتسون Seonaid Robertson. وترى هذه النظرية أن الفن رمزي بطبيعته، ولذلك فانه عالمي. وأن العمل الفني يلقى الضوء على صور رمزية ونفسية. وعملية إبداع العمل الفني تصحبها بإحساس بالنظام الجمالي. وان هذا ينسحب على فنون الأطفال وعلى فنون الكبار أيضاً. يقول روبرتسون "لقد أعاد المصورون أخيراً إلى الخامة قوتها الايجابية... فالخامة يمكن أن تكون المصدر الأصلي للصورة" [٣٣، ص ٢١].

^{١*} الفت عدداً كبيراً من الكتب وقد استعرض الكاتب واحداً منها تحت عنوان "الدراسات السابقة".

ويكتفي الباحث بهذا القدر من هذه النظرية لاستعراضه بشئ من التفصيل كتاب روضة كيلوغ ضمن الأبحاث السابقة.

١١. نظرية الاتصال الاجتماعي والثقافي:

Child Art as Social and Cultural Communication.

أوجدت هذه النظرية جون ماكفي^{٢*} June k. Mcfee وقد أثبتت من خلال تجارب عديدة وتحليلات لرسوم الأطفال أن هناك اختلافات كبيرة بين رسوم الأطفال . والسبب الرئيسي لهذه الخلافات يعود كما ترى ماكفي – إلى درجة الاستجابة مع بيئاتهم التي يعيشون فيها. فالأطفال عادة يتجاوبون مع بيئاتهم، وتكون أفكارهم التي يعبرون عنها من خلال رسوماتهم نابعة من تجاربهم مع البيئة المحيطة بهم. فالطفل في المراحل الأولى من حياته يعتمد اعتماداً كبيراً على البيئة، فيصور كل تجاربه فيها.

وقد أوضحت النظرية أن هناك أربع نقاط تؤثر في مستوى فن الطفل. وهذه العوامل الأربعة هي :

١. مدى استعداد الطفل للتفاعل مع بيئته التي يعيش فيها.
٢. البيئة النفسية psychological environment ونعني بذلك مدى إمكانيات التفاعل، ويعتمد ذلك على الاستعدادات النفسية، والظروف التي تكيف تفاعل الطفل مع بيئته.
٣. مقدرة الطفل على استخدام المعلومات البصرية التي يستقيها بالملاحظة والمعاشية الدائمة.
٤. درجة مهارة الطفل، ومقدرته على التعبير عن نفسه من خلال الأعمال التي يرسمها مصوراً بها بيئته التي يعيش فيها.

^{٢*} أثبتت ماكفي ذلك في كتابها، الذي عرضه الباحث ضمن "الأبحاث السابقة وهو كتاب Art for preparation الإعداد للفن (المرجع رقم ١٣).

وبما أن الباحث قد عرض بقية أفكارها والجوانب التي تشملها نظرياتها في صفحات سابقة في هذا البحث، فإنه يكتفي هنا بهذا القدر. وبعد الستينات من القرن العشرين لم تظهر أي نظرية متكاملة عن رسوم الأطفال . وقد اتجه المنظرون على وضع نظريات محددة تصف رسوم الأطفال المتفوقين ، والأطفال المتخلفين ، أو المعاقين وغيرها . وحتى يومنا هذا يكثر الاستشهاد بآراء أصحاب النظريات السابقة أمثال روضة كيلوغ وهيربرت ريد ، وفيكتور لونفيلد .

وأكثر النظريات ثبوتاً عند الباحثين في رسوم الأطفال اليوم هي نظرية فيكتور لونفيلد . ولعل ماساهم في انتشارها في هذا الميدان هو اشتراك تلميذه لامبيرت بريتين في تأليف الكتاب والنظرية معه . وقد ظل لامبيرت على قيد الحياة ، وظل يطور ويضيف بعض التفاصيل لهذه النظرية . والأمر نفسه حدث مع النظريات الأخرى. ولذلك يكتفي الباحث بعرض هذا القدر من النظريات حتى لا ينحرف البحث عن مساره المرسوم له ويتتبع التبعات المختلفة التي تحتاج لدراسات خاصة.

تحليل النظريات السابقة:

لقد ظهرت نظريات فنون الأطفال السابقة نتيجة لعدة عوامل. ولعل أهم هذه العوامل هو الجو الثقافي الذي كان يعيش فيه أولئك الذين أوجدوا تلك النظريات. فهناك تأثيرات ثقافية عامة تؤثر على المجال التربوي. وواضح تأثير العلوم الإنسانية المختلفة على هذه النظريات. إذ كان لكل واحد من علماء النفس (بفروعه المختلفة)، وعلم الإنسان أو السلالات (الانثروبولوجيا) وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها أثرها الذي لا يخفى على طريقة تفكير وتخطيط هؤلاء المنظرين الذين وضعوا تلك النظريات.

وقد تأثر بعض أصحاب هذه النظريات بمن سبقهم ممن وضعوا نظريات أخرى. ويتضح ذلك جلياً من ملاحظة بعض الجوانب الخاصة برسوم الأطفال. فعلى سبيل المثال نلاحظ أن موضوع تقسيم فنون الأطفال إلى مراحل قد تكرر عند الكثيرين، ابتداء من روسو، وانتهاء بماكفي: فعلى الرغم من أن فيكتور لوفيلد هو الذي ينسب إليه موضوع مراحل تطور رسوم الأطفال إلا أننا نلاحظ (من سبقه إلى تقسيم فنون الأطفال إلى تلك المراحل – بل إن أغلب أسماء المراحل لم يبتدعها هو بل كانت من اكتشاف غيره ومن ذلك :

مرحلة الخربشة Scribbling stage.

مرحلة التخطيط Schematic stage.

مرحلة المراهقة Adolescence.

وغيرها. فأول من تحدث عنها هو روسو.

وبما أن كل نظرية كانت نتيجة لعدة عوامل، يتصل بعضها بالبيئة التي نشأت فيها، وبعضها بالثقافة السائدة، وبغير ذلك من العوامل العديدة، فإن... النظم التعليمية، ونظريات فنون الأطفال قد تضاربت وتعارضت ومن أسباب ذلك التعارض الأفكار التي يكونها الناس عن الكبار والصغار، وعن الطرق السليمة للتعامل مع الأطفال، ومدى الحرية أو الحزم والصرامة التي يجب أن يعاملوا بها في مرحلة الطفولة. وقد كثرت....." الخلافات بين حياة الكبار وحياة الصغار، وبين المنطق والعوامل النفسية، وبين الحرية والسيطرة التامة (على سلوك الطفل) *، وبين التوجيه الدقيق والتلقائية، ولم يظهر تصور فكري واضح لهذه المشكلات التي ظلت لعصور طويلة بلا حلول إلا في عصرنا الحاضر " [٣٤، ص ٣٥].

* مابين القوسين من إضافة الباحث حتى يتضح المعنى.

ورغم قدم هذا النص فإنه يعبر عن الوضع الراهن ويرى براودي
Broudy ” إن كل النظريات السابقة عن فنون الأطفال يمكن تقسيمها إلى
قسمين أساسيين :

١. القسم الأول يعتمد على نظرية الإدراك أو العقل Cognition.

٢. القسم الثاني ويعتمد على العاطفة Emotion “ [٣٥، ص ١٨].

وقول براودي هذا جاء نتيجة لدراسة دقيقة. فإذا استرجعنا كل
الأسس والأفكار التي قامت عليها كل نظريات فنون الأطفال نجدها لا تخرج
عن إطار هذين القسمين.

وقد لاحظ الباحث أن بعضها يجمع بين القسمين السابقين فيتناول
الإدراك والعاطفة معاً. يقوم القسمان على أساسين مختلفين. ويمكن أن يسميا
الأساس النفسي والأساس العقلي أو المنطقي.

والأساس النفسي لفنون الأطفال يهتم اهتماماً خاصاً بالجوانب
التعبيرية للقيم الداخلية لكل فرد. ويشمل ذلك الدوافع، والمشاعر، والإلهام.
فحرية التخيل والتصور الشخصي مهمة للغاية وكذلك والتوجه الداخلي،
والنمو الفردي لمفهوم الجمال مفهوم إلهامي عاطفي وهو مفهوم مجازي
وخيالي.

أما الأساس العقلي أو المنطقي في فنون الأطفال فيعتبر مظهراً حقيقياً
وعقلياً من مظاهر التعلم والتعبير في الفن. فالمعيار الخارجي والمستوى
المطلوب، محددة للموضوع الفني، ولطرق تنفيذ العمل الفني . ومفهوم
الجمال أيضاً محدد ومعروف فهو المفهوم القديم والمثالي للفن.

وقد كانت الأفكار التي قامت عليها نظريات رسوم الأطفال ملهمة
لكثير من الباحثين المحدثين فتعددت الكتابات في هذا المجال يقول جوزيف
داي ليو Joseph H.Dileo ” إن جمع المعلومات والحقائق (عن رسوم
الأطفال) ترضي العقول التي تميل نحو تقبل الأشياء العلمية..... ففي هذه

الدراسة عن رسوم الأطفال قد استخدمت هذه الطريقة العلمية...“ [٣٦، ص٣].

وهذا النص مأخوذ من كتابه " تفسير رسوم الأطفال "

Interpreting Children's Drawings

وقد أثر هذا الكتاب نفسه على ظهور مؤلفات أخرى، رغم اختلاف المحتوى إلى حد ما.

يقول الدكتور محمود البسيوني: " والتخطيط الذي يقوم به الطفل والذي نسميه جوازا "الشخبطة" لا يمكن الاقتصار في النظر فيه على أنه مجرد آثار عابرة للقلم على الورق. إنه أكثر من ذلك بكثير - إنه بحق باكورة النشاط الإبداعي الذي يزاوله الطفل ، بل إنه نشاط له أساس عضلي ، فيزيقي ، وعقلي ونفسي ، وعصبي ، وجمالي ، وإداعي ، واجتماعي“. [٣٧، ص١٢].

ونلاحظ أثر النظريات النفسية على ما قاله اسوفالدو Osfaldo

في كتابه . "الرسم عند الأطفال فقد قال:

" إن القدرات المعرفية تتمحور في إطار حسي - حركي. والطفل حديث الولادة يتعرف على البيئة الخارجية وينمي عناصر الذكاء باللجوء إلى السلوك الحركي والأنشطة الإدراكية .“ [٣٨، ص٥].

وتتضح وجهة النظر عند بعض الكتاب المعاصرين مما يقولونه عن فنون الأطفال . ولنتأمل النص التالي:

" واجبنا تجاههم (يقصد الأطفال) أن نصقل عقولهم، وندريب مهاراته، وأن يتناول المعلم المعاصر وكذلك الآباء والأمهات بعض الأسس في توجيه الأطفال لتنمية تذوقهم الفني.“ [٣٩، ص٢٠].

فالالاتجاه نحو الأساس العقلي المنطقي واضح عند هذا الكاتب أما

الاتجاه الاجتماعي فيبدو من النص التالي: